دراسة تطبيقية

الخصائص الفنية للاتجاه الإسلامي

في ديوان «المرايا وزهرة النار»

بقلم: أحمد محمود مبارك

المتأمل

في شعر الدكتور صابر عبدالدايم من خلال ما أصدره من دواوين(١) تتجلّى أمامه سِمَةٌ بارزة، وهي أن قصائده تنطلق من رؤية إسلامية سامية. رؤية تَتَّسِمُ بالرحابة والشمول -وفي الوقت نفسه بالالتزام بأبعاد وخصائص النظرة الإسلامية للإنسان والحياة والكون، فمن خلال هذه الرؤية ينطلق إنتاجُهُ الشعريُّ ثرياً في عطائه، متنوّعاً في طرق أدائه.. غير أن هذا التنوّع وإن انطوى على استجابة لنداء التجديد وعوامل التطوّر، فإنه يظل بمنأى عن الجنوح للدعاوى الحداثية التي تسعىٰ لتحطيم الضوابط والأسس الفنيّة الأصيلة، التي ميَّزتْ شعرنا العربيَّ على مدىٰ قرون طويلة والتي تَعْمَدُ إلى القطيعة الكلية عن هذه الأسس، والاحتذاء ببعض النظريات التغريبية، إلى الحدِّ الذي يُفْقِدُ الشِّعْرَ العربيَّ هُـوِيَّتَهُ، بل إلى الحد الذي يُحيل الشِّعْرَ إلى مجرّد همهمات وتشكيلاتٍ لفظية جوفاء مبهمة، مُجرّدة من المعنى. فالشاعر الدكتور صابر عبد الدايم في جنوحه للتجديد لم يخرج عن منظور الأدب الإسلامي. ذلك أن الشعر فنٌّ أدبيٌّ تعبيريٌ جميل يلتحم مع قِيَمِ الحقّ والخير وما ينفع الناس في نسيج واحدٍ.

وهذا المفهوم -الالتزامي- للشعر من وجهة النظر الإسلامية. ليس ضيّقاً ولا محصوراً -كما يظنّ البعض- في نطاق شعر الابتهالات الدينية والمناسبات الإسلامية والمواعظ، وإنما هو من الشمول والرحابة، بحيث يشمل كلَّ تعبير شعريٍّ جميل عما يخالج الإنسان من أفكار ومشاعر وانفعالات بما لا يتعارض مع قِيَمِ الإسلام الحنيف ومبادئه وأُسسه.. كما أن هذا المفهوم الإسلاميّ للشعر لا يعني أن الشعر الإسلاميّ ذو شكل ثابتٍ، غير قابل للتجديد والتطوير.

ذلك أن المفهوم الإسلامي للشعر من المرونة والرحابة، بحيث يشمل كل تجديد شكليّ، لا يُطيح بما يجب أن يتوافر في التعبير الشعري من عناصر وخصائص موسيقية ولغوية وتعبيرية، تميّزه عن غيره من صنوف التعبير الأدبي النثرية.

● وإذا ما خلصنا إلى ما سبق. فإن هذه المفاهيم التي تنطوي عليها الرؤية الإسلامية للشعر. تَتَبدَّىٰ بجلاءٍ للدارس لأشعار الدكتور صابر عبد الدايم في جلّ ما أفرزته موهبتُه الشعرية وإذا كنا لا نستطيع أن نستجلي هذه الرؤية في كل ما صدر للشاعر، لأن هذا يحتاج إلى دراسة موسعة فإنه يكفي أن نتوقف عند ديوانه الرابع «المرايا وزهرة النار»، ففي الديوان تُطالعنا أكثرُ من قصيدة، يُحدِّدُ فيها الشاعرُ منهجَهُ الشعريَّ. بحيث يمكننا أن نتلمس فيها ملامحَ «التنظير» مضفورةً في النسيج الفنيّ التصويري الإيحائي للتجربة الشعرية. كما هو الشأن في قصيدة «قافلة الغرباء»(٢). حينما يتحدّد المفهوم الذي اختاره الشاعر للشعر والشعراء- وهو مفهومٌ إسلاميٌّ خالص- بقوله:

والشاعرُ عندكَ يا مَنْ جئتَ بِمِلَّتِكَ البيضاءْ
حطّابٌ يحمل فأساً في الصحراءْ
يُجْرِي فيها الأنهارَ
وينسجُ للعريان كساءْ
والشاعرُ سلطانٌ،
يحملُ فوق الظهر إلى الأطفالِ غداءْ
سيف مسلولٌ في وجْهِ الأقذاءْ
قلبٌ بأذانِ الحقّ خفوقٌ يورق بالأمل الوضّاءْ
والشاعرُ صدّيقٌ
ينزعُ سيفَ الردّةِ من ظلِّ الأعداءْ
ويُطاردُ جيشَ مسيلمةَ الكذّابِ بكل الأجواءْ
يصرعُ جَبَلَ الباطلِ
يجعلهُ سفْحاً من أشلاءْ..

... وإضافة إلى هذا المضمون المضيء لهذه القصيدة - التي قلنا إننا نتلمسُ فيها ملامح التنظير للشعر الإسلامي- فإنه حريٌّ بنا أن نتأمل عناصرَ التشكيل الأدائي اللغوي والتصويري والدلالي. لندرك المعين الثرَّ الذي يستقي منه الشاعرُ العناصر الفنية للقصيدة، فالإحالات التصويرية والرمزية التي زخرت بها القصيدة مستقاةٌ من التاريخ الإسلامي في صفحاته المضيئة، والدلالات الإيحائية المنبثقة من تلك الإحالات شديدة الارتباط بوجدان المتلقي وفكره، كما أنها شديدة الارتباط بمضمون القصيدة وأفكارها الرئيسية بغير افتعالٍ أو انشقاق.

وثمة ظاهرة جديرة بالنظر لدى الشعراء الإسلاميين.. فالقرآن الكريم الذي يضيء به المولى عزّ وجل قلوبهم كثيراً ما ينعكسُ نورُ ألفاظه وعباراته، وألقُ بيانه، وجمالُ بلاغته، على طرحهم الشعري. فيكسبُ التعبير الشعري جمالاً وجلالاً، ويثري أبعادَهُ، ويُعَمِّق معانيه.. وهنا نجد أن الأمر يختلف عند غيرهم من الشعراء الحداثيين الذين جنحوا للتغريب والتدمير. الذين يحلو لبعضهم والعياذ بالله - أن يستخدم اللفظ القرآني المقدس في سياق شعري مُدَنَّس، كما هو الشأن في قصائد كثيرة لأدونيس والبياتي، ومن سار على نهجهما ... فقداسة اللفظ القرآني في الشعر

الإسلامي. لا يمسسها غبارٌ من سُوء تعبير. وإنما تجيء في سياق عبارات مضيئة نقية طاهرة. فتزيدها نقاءً وطهارةً وقوة تأثير. ونحن نجد تطبيقاً لهذه الخصيصة في العديد من القصائد التي تضمّنها الديوان نختار منها قوله في قصيدة «من فتوحات الغربة»(٣).

«والليلِ وما وسقْ»
والقمر إذا ما اتَّسَقْ
....
إنني راكبٌ طبقاً عن طبقْ
راحلٌ في زمان القلق
....
مُمْتَطٍ صهْوةَ الشمسِ لم أحترقْ
واحتراقي انْطلاقٌ من الأسْرِ في عالم يختنقْ
واتحادي مع الشمسِ عصرٌ
من الطُّهْرِ يبزغُ من بشريات الشَّفَقْ.

والملاحظ هنا .. أن ثمة وشائج دلالية، بين الومضات القرآنية، التي استخدمها الشاعر في مستهل قصيدته، وبين أبعاد التجربة الفكرية والشعورية للقصيدة.. فالقسم القرآني المقتبس -هنا- يُضفي على الموقف الفكري والوجداني الذي تفصح عنه أبيات القصيدة أو سطورها الشعرية - ما من شأنه أن يأى به التردّد والإنكار..

والأمر نفسه نجده في قصيدة «الشهيد»(٤) خاصة في المقطع الذي يقول فيه:

«قال عفريتٌ من الجنِّ أنا آتيك» بالعرس السليبْ
قبل أن يرتدَّ طَرْفُكْ
واندفاعات الرصاصات تجيبْ
....
وملوكُ الجنِّ تبني لسليمان الحكيمْ
ما يشاء..
من قلاعٍ وحصونْ
«وجفانٍ كالجواب .. وقدورٍ راسيات»..

والشاعر يدرك معنى الالتزام وأبعاده، ومسؤولية الحرف التي يتعين أن يلتزم بها حملة الأقلام، ففي زمن الزيف والباطل والتردّي. يجب أن يكون الحرف جواداً جسوراً، وسيفاً مسلولاً، ويتحوّل الشعر إلى وسيلة جهاد وسمو، وسعْي من أجل الوصول إلى الغايات الإنسانية النبيلة، والنفع الإنساني الذي هو بمثابة عنصر جوهريّ -موضوعي- في الأدب الإسلامي عامة ... ومن هذا المنطلق يقول الشاعر بفنيّة تعبيرية عالية في قصيدته «مهلاً يا سيدتي»(٥).

فالشاعرُ يا سيدتي...
في طغيان العصرِ الحجريّ تجفُّ الأنهارُ
فتسقيهِ كلماتُهْ
حين يصيرُ الموتُ هويَّةَ كلِّ العالم يأساً ...
تُحييه كلماتُهْ

المرايا وزهرة النار

وأنا يا سيدتي أسْرَجْتُ خيولَ الحرفِ..،
امْتَشَقْتُ أوزاني السيفْ
أردفْتُكِ خلفي،
لم ينبتْ في حقل رؤاي الخوفْ

والشاعر في تفاعله الإيجابي مع الواقع العربي والإسلاميّ يتوحّدُ همُّه الخاص بالعام؛ فيطرح صورة صادقة لهذا الهمّ. صورة تُدين الواقع. لكنها لا تفقد الأمل في تجاوزه ... يقول الشاعر في إحدى فقرات قصيدته «الشهيد» التي سبقت الإشارة إليها مستخدماً في بنيته التصويرية إحالات تاريخية وتراثية عربية عَمَّقَتِ المعنى:

والأباةُ الصِّيدُ خلفَ السُّورِ تستافُ العذابْ
ونداءُ الحقِّ مدفونٌ بأضلاع المآذنْ
واليهودُ المجرمونْ
يحرقونَ المسجدَ الأقصى وفيه يرقصون
وثقيف تغمدُ السيفَ بأضلاع هوازنْ
... ويعودُ الشَّجرُ الأخضر يسعى!...،
قادماً في مأتمِ الشمسِ وأشباح الغروب
وعليه يتبارى المسلمونْ
وهو مشحونٌ بألوانِ السمومْ..

.. غير أن إدانة هذا الواقع -كما قلنا- لا تفقد الأمل في تجاوزه، وإنما ينبثق شعاع البشرى من دماء الشهداء.. يقول الشاعر بعد المقطع السابق مباشرة:

وتعودُ النارُ في ثوبٍ جديدْ
وتهزُّ الأرضَ صيحاتُ الشَّهيدْ
يُشعل النار على كلِّ الحدودْ

يحرقُ الأشجار .. يلقى في لظاها كُلَّ أشلاء القيودْ

... وحريٌّ بنا قبل أن ننتقل إلى بعض نماذج الشعر العمودي بالديوان أن نؤكد -ومن واقع القصائد- على أن الشعر التفعيلي من وجهة نظر الشاعر الإسلامي يجب أن يشفَّ في عمق بحيث لا تطمس أفكارُهُ ورؤاه الفنية تعقيدات لغوية ودلالية، كما أنه يجب أن يزخر بجماليات الشعر وثوابته المتعارف عليها. من موسيقى سليمة ومؤثرة، وجمال فني في التعبير اللغوي والتصويري، وهذا ما هو متحقق في القصائد السابقة التي عرضنا لبعض فقراتها بالتحليل الموجز، فهي قصائد تفعيلية لم تلتزم النسق العمودي التام، بَيْدَ أنها زاخرة بموسيقى التفعيلات، والموسيقى الداخلية للألفاظ والتراكيب اللغوية، بل وموسيقى القوافي -أيضاً- تلك الموسيقى التي تُكْسِبُ التعبير الشعري ثراءً وخصوصية، وتُرسِّخُ وقفاتِه النَّغَمِيَّة، وإن الفنّية الجمالية،وما دام مُتَساوِقاً مع طبيعة التجربة وما تطرحه من أفكار.

● وفي انتقالنا إلى قصائد الديوان العمودية. نتوقَّفُ أمام قصيدة نعتبرها من عيون الشعر في هذا الديوان. وهي قصيدة بعنوان «الجبل»(٦) فالشاعر -وهو بمكّة المكرمة- يقطع طريقاً بين الجبال ويرى الراسيات تعانق أحلام النجوم،

وشائج دلالية بين الومضات القرآنية في قصائد الديوان وتجربة الشاعر

ويستشعر أنهارَ الضياء تتفجَّرُ من شرايين الصخور. يقف متأملاً في خلق الله، وقفة مفعمةً بالإيمان تُعزِّزُ هذا الألق الشعري الذي عبّرت عنه القصيدة. يستهلُّ الشاعرُ قصيدته بقوله:

أنّىٰ أسيرُ يضمُّني الجبلُ فكأنني في الصخر أرتحلُ
من كلِّ زاويةٍ ملامحُهُ تبدو .. وفي الأجواء تَنتَقِلُ
فكأنّهُ عينُ الوجود إلى قلب الخفايا لَمْحُها يَصِلُ
مُتَجهِّم.. جرداءُ قِمَّتُهُ لكنّه بالخير يشتعل
مُدَّتْ إلى الغيمات راحتُهُ فإذا بِجُرْحِ الكونِ يَنْدَمِلُ

وبعد هذه الأبيات التصويرية الوصفية الرائعة.. وهي تمهيد تعبيري جميل -للانطلاقة الفكرية الإيمانية التي تحملها أبيات القصيدة التالية، في دفقات محكمة البناء- .. بعد هذا التمهيد يتوقّف الشاعرُ متأملاً مظاهر الحقيقة الإيمانية التي ينبض بها قلب الجماد وشرايين الكون.. حيث يقول:

وإذا الوجودُ الطفل تحضنهُ أمُّ القرىٰ ويكبّرُ الجبلُ
أنشودةُ التوحيد منطقُهُ وعليه من لألائها حُلَلُ

ويستحضر الشاعرُ حقائق التاريخ الإسلامي وأحداثه، فتتلاشى الفواصلُ الزمنية، وتفوحُ الذكرى بعبقها على طرح صور شعرية متفرّدة، ومنبثقة من البيئة الفنية والوجدانية للتجربة الشعورية:

دعواتُ إبراهيم صاعدةٌ فإذا الصحارى وجْهُها خَضِلُ
وحِراءُ نبعٌ في تماوجه الأرضُ بالعلياء تَتَّصِلُ
صخْرٌ ومنه تفجّرت شهبٌ ولها بكلِّ منارة شُعَلُ
«إقرأ تعالى الله قائلها» فإذا الجبال الصمُّ تبتهلُ

وبدون أن تَفْقِدَ القصيدة وحْدتها الموضوعيةَ. نجد أنفسنا بصدد رؤية فنية متنامية ومتفرّعة. إذ يتخذ الموقفُ التأمّلي للشاعر مساراً آخر، موضوعه حال المسلمين الحاضر. مصوراً واقعهم المثخن بالجراح والسلبيات، والتحديات التي يجب مواجهتها كي تعيد الأمة الإسلامية أمجادها، وتنطلق إلى مستقبلٍ مشرق -ففي مقارنة بين الماضي والحاضر يقول الشاعر:

«والأمة الحيرى مُمزَّقة تسعى ولكنْ سعْيُها فشلُ
لم تَصْفُ أنهارُ الحياة بها فحقولها ينمو بها الكللُ
ما شادهُ الأمجادُ قد وأدتْ وبدت كأنّ جديدها طللُ
...
هل يرجمون الإثْمَ في زمنٍ الآثمونَ به... هم المثلُ؟!
أم يرجمونَ الكفْرَ في زمنٍ الكافرون لسيفهم صقلوا؟!
أم يرجمون الخُلْفَ بينهُم وقلوبهم تَغْلي وتَفْتَعِلُ!!
هذي حدودهمُ قد اشْتَعَلتْ والنارُ شيطانٌ لها حِيَلُ..

وللأزهر الشريف مكانة كبيرة سامية في قلوب المسلمين وعقولهم. للدور الكبير الذي يقوم به علماؤه .. في سبيل نشر علوم الإسلام والدعوة إلى الله. في كل أرجاء العالم، إذ يفد إليه طلاب العلم من كل مكان في العالم، وينطلق منه الدعاة إلى العديد من البلدان، ناشرين نور الدعوة الإسلامية .. لا يرى الشاعر في الأزهر الشريف مجرد صرح شامخ ومئذنة فحسب. بل يراه هدْياً في القلوب وروْحاً تنطلق من أغلالها لتبعث في النفوس سكينة الإيمان وأمن الهدى .. يقول الشاعر في قصيدة «الأزهر والطوفان»(٧)..

يا أزهر الدنيا بنورك أزهرت
مُهَجُ الليالي والبوادي تورقُ
من ألف عام فَيْضُ ذاتكَ مائجٌ
وبكل عصر ضوؤكم يتدفَّقُ
ما أنتَ مئذنةٌ وصَرْحٌ شامخٌ
بل أنتَ هدْيٌ في القلوب معلَّقُ
أنتَ انطلاقُ الروح من أغلالها
أنتَ الأمانُ بكل نفس يَبْرُقُ

وينتقل الشاعر إلى تصوير دور الأزهر العلمي الذي يمتد إلى طلاب العلم القادمين إليه من كل مكان في الأرض .. فهو قبلة العاشقين لنفائس العلوم. ومبدِّدُ الجهالات في مشارق الأرض ومغاربها..

شدّوا الرحالَ وأنت قِبلةُ عاشقٍ
لنفائس العلمِ الفريدة يعشقُ
عادوا وبَرْقُ العلم في أيديهمُ
والحق في آفاقهم يترقرقُ
فإذا الجهالات الكثيفةُ ترتمي
في مغرب الآفاق وهْي تمزَّقُ
ومشىٰ ضياؤك في ظلام كياننا
فإذا الأماني في الحياة تحقّق

والمتأمل في هذه الأبيات سيلاحظ بدون عناء - أن جدّية الموضوع وواقعيته .. لم يقيدا خيال الشاعر وقدراته التصويرية، ولم يجنحا به إلى التعبير التقريري المشوب بالجفاف، بل انطلق خيال الشاعر وتجلّت قدراته التصويرية لترسم صوراً متفرّدة متآزرة تماماً مع الفكرة ومستقاة من البيئة الفنيّة للموضوع. بغير إقحام أو افتعال. «عادوا وبرق العلم في أيديهمُ ، والحق في أفاقهم يترقرق،... الجهالات الكثيفة ترتمي في مغرب الآفاق...» فنحن بصدد تعبير تصويري متميز، مبني على استعارات متلاحمة، تزيد المعنى ثراءً، وتعمِّقُ أبعاده ... ممّا يجذب فكر المتلقي وخياله ووجدانه ... ويعمِّقُ تَفَاعُلَهُ ..

ولم يقتصر دور الأزهر الشريف ورجاله على الناحية العلمية والفقهية والدعوة إلى دين الله الحنيف وتبديد البدع والجهالات والوقوف ضد الدعاوي الإلحادية... وإنما امتد دوره وجهد علمائه إلى الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الدين والوطن ... ولم يغِبْ عن الشاعر ذلك الدور العظيم الذي يُحْسَبُ للأزهر ورجاله ... فصورت أبيات القصيدة هذا الدور العظيم. وكَشَفَ التعبير -أيضاً- عن قدرات الشاعر التصويرية والبلاغية السامِقَة حيث يقول:

كالبحر أنتَ لفظتَ كلَّ مُخَاتِلٍ
فإذا به فوق الشواطىءِ يَنْفُقُ
المعتدون عليكَ صاح خيالُهم
أخْنى على مصرَ الجمودُ المُطْبِقُ

فَسَعـوا يقودهم الغرورُ لحتفهـم
ركبوا المحيطَ وفي جـدارك عُلِّقوا
وطئت ثَـراكَ خيولُهم... فإذا بهم
فـي كـل زاويـةٍ رمـادٌ يُحْـرَقُ
بقذائف الإيمـانِ جُنْـدُكَ حاربـوا
وبصيحة التوحيدِ خصْمُكَ يُصعقُ

وفي الـديـوان قصـائد عمـوديـة عـديـدة تنتهج النهج الإسـلامي في شموله الرحب، كما يزخر الديوان أيضاً بالعديـد من القصائد التفعيلية التي لا تقل مستـوى فنيـاً عن القصـائد التي تنـاولناهـا في هـذه الـدراسة الموجـزة.. والتي يجمعها أيضاً سمتٌ إسلاميٌّ مضيءٌ.

الهوامش

(١) الشاعـر الدكتور صابـر عبد الدايم حـاصل على دكتوراه في الأدب والنقد مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر وقـد عمل أستـاذاً مشـاركـاً بقسم الأدب بكليـة اللغـة العـربية - جـامعـة أم القرى .. ويعمل في الـوقت الحالي وكيلاً لكليـة اللغة العربية، جـامعة الأزهر فرع الـزقازيق بمصر.. وهو عضو برابطة الأدب الإسلامي العالمية واتحاد كُتَّاب مصر.. وقد أصدر عدة كتب نقدية ودراسات أدبية منهـا «مقـالات وبحـوث في الأدب المعـاصر ١٩٨٣م، الشعـر الأمـوي في ظل السيـاسـة والعقيـدة ١٩٨٣م، فن كتابـة البحث الأدبي والمقـال ١٩٨٣م...»،... وله ثـلاثة دواوين شعرية سابقة على الديوان موضوع الدراسة وهي: «نبضـــات قلبين ١٩٦٩م، الحلم والسفـــر والتحـــوّل ١٩٨٢م، المسافـر في سنبلات الزمن ١٩٨٣، وقـد صدر ديـوان «المرايا وزهـرة النـار»؛ عن الهيئـة المصريـة العامـة للكتاب عام ١٩٨٨م.

(٢) الديوان ص ٥٩ .

(٣) الديوان ص ٢٧ .

(٤) الديوان ص ٣٥ .

(٥) الديوان ص ١٥ .

(٦) الديوان ص ٦٧ .

(٧) الديوان ص ٧٥ .

ويبقى النخيل

شعر / عصام علي خليفة

أيا قدسُ عذرا
أنا لست نبتا
أنا لست زهرا
أنا حزن ليل عقيم طويلْ
وإيقاظ تفكيرنا المستقيلْ
وغيظ وحقد وهم ثقيلْ
وأشلاء مجد
وإنقاذ عرض
وبركان رفضٍ .. بأرض النخيلْ

* * * *

أيا قدس مهلاً
أنا لست حقلاً
يدقون رأسي بفأس الطغاة
ويسقون صدري بهمّ الحياة
أنا الجدب حين يصير المزارع فظ الصفات
وصحراء تحوي دجى الذكريات
وأفق يكنّ الجروح القديمة
وأرض عقيمة
من النيل .. حتى ضفاف الفرات
أنا اليوم أعلنت بدء الصيام
صيامي عجوز..
شقوقي ستزداد مثل التجاعيد في كل عام
أريد الطعام دماء تسيل
تسد الشقوق .. وتروي النخيل

* * * *

أيا قدس صفحاً
أنا لست قمحاً
يجيء الجياع ..

لكي يطحنوه
وفوق الموائد تأتي القيادات من كل فجّ.
إلى الاجتماع ..
لكي يأكلوه ..
وقبل نهاية كل اجتماع
وقبل الفراق
يخطون رسماً ليوم التلاقي
أيا قدس إني برغم التشتت لا بدّ عائد
وأرسلت عبر حدود اختناقي ..
ندائي إلى كل عبد وقائد
أنا لست خبزاً لهذي الموائد
أنا برد ليل
وحر اشتياق
أنا بيت شعر مرير المذاق
تجيء المعاني تبكي لديه
تموت اللغاتُ وتحيا عليه
على راحتيه ..
سيولد فجر البلاد الجديد
ومن مقلتيه ..
تسيل الدموع
تجوب البلاد وقبل الرحيل ..
تبث الحياة .. بأرض النخيل

* * * *

أيا قدس صبراً
إذا صرت قبراً لكل القصائد
إذا ضاع مني زمام العبارة
وأفسحت صدري لكل النقائض
سألقاه شيئاً غريب الحدوث بكل مقاييس تلك الحضارة
كضيق البحار
وجدب السواقي ..
ودمع الحجارة
سألقاه يمّا ...
يسوق البوارج نحو الغرق
سيخنق وسط الدخان الذي ..
يغادر فسطاطنا المحترق

وإن بات يفرض حظر التجول
سألقاه خوفاً . بصمت الطرق
سألقاه عند احتقان الأفق
وعند العيون الصغار اللواتي حملن الشفق
سألقاه ليلاً ..
ومالي نجوم
سئمت النجوم
كرهت النجوم
لأن النجوم تخيف الكبار
لأن النجوم تثير القلق
لأن النجوم تحث المرارة والذكريات..
لتسكن في صدرنا المختنق
لأن النجوم ستخفي الدليل
وحين نسير بهدي النجوم ..
نضل الطريق .. بأرض النخيل

* * * *

أيا قدس مرحى
فقد صرت نخلا
إذا جعت يوماً ..
فهزي بجذعي
وإن طال فيك انتظار الطريق
وما من رفيق ..
فنامي بظلي
ولا تعجبي ..
إذا توجونا بعيد الطفولة
وقالوا علينا .. بأنا صغار
وأنا نسالم مثل السنابل .. مثل الزهور
فهم يجهلون..
بأنا هجرنا صفات الزهور
نسينا الجمال .. رفضنا العبير
فحين يحل الجفاف العسير
تموت السنابل وسط الحقول
وتفنى الزهور ..
ويبقى النخيل.